أين المعجزة إذن ؟

من أخطر النبوءات التى اعتمدت عليها المسيحية فى إثبات أن عيسى عليه السلام هو المسيح، تلك النبوءة التى ذكرت فى سفر إشعياء والتى تقول:

«ها العذراء تحبل وتلد ابنا، وتدعو اسمه عمانوئيل»

إشعياء (٧:١٤)

هذه النبوءة هى التى اعتمد عليها بعض كاتبى الإنجيل لإثبات أن المسيح عليه السلام هو عيسى، على أساس أنه الوحيد من بنى البشر الذى ولد من أنثى دون ذكر، وعلى الرغم من أن هذه القضية محسومة عندنا نحن المسلمين، غير أن الإنجيل نفاها بشدة من حيث أراد أن يثبتها، وهدمها من حيث أراد أن يبنيها، وقد حاولنا أن نبحث عن مخرج لهذا المأزق دون جدوى، ونحن نرجو منهم أن يثبتوا لنا من خلال نصوص الإنجيل أن العذراء قد حملت وولدت ابنا.

وقبل أن يتسرع أحد ويستشهد بما جاء فى إنجيل متى، نباغته بأن هذه المعجزة لم تتحقق لدى بنى إسرائيل الذين من حقهم وفق روايات الإنجيل أن يرفضوا المسيح عليه السلام؛ لأن أهم آية وعلامة فى المسيح لم تتحقق فيه وفق روايات الإنجيل، حيث كان المنتظر أن يولد المسيح من عذراء، ولكن الإنجيل جعل مريم عليها السلام امرأة متزوجة من يوسف النجار، وجعل هذا الطفل ابنا ليوسف هذا، وبالتالى حرم الإنجيل بغرابة شديدة، وبدون إبداء أى مبرر، حرم السيدة العذراء من هذا الشرف، وكذلك حرم

المسيح من أن يكون ابن العذراء، وإنما هو وفق الرواية الإنجيلية ابن رجل وامرأة تزوجا زواجا عاديا وأنجبا طفلا عاديا، إذن فقد كان لليهود عذرهم فى رفض هذا الطفل، وها هى رواية إنجيل متى.

أما يسوع فقد تمت ولادته هكذا :

كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا معا، وجدت حبلى من الروح القدس. وإذ كان يوسف خطيبها بارا، ولم يرد أن يشهر بها قرر أن يتركها سرا، وبينما كان يفكر فى الأمر، إذا ملاك من الرب قد ظهر له فى الحلم يقول: «يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأتى بمريم عروسك إلى بيتك لأن الذى هى حبلى به إنما هو من الروح القدس، فستلد ابنا وأنت تسميه يسوع، لأنه هو الذى يخلص شعبه من خطاياهم» حدث هذا كله ليتم ما قاله الرب بلسان النبى القائل «ها إن العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى عمانوئيل»! أى: «الله معنا».

متى (١ : ١٨ – ٢٣)

إذن فيوسف و مريم فقط هما اللذان قد علما بهذه المعجزة! أما بقية الشعب اليهودى فقد ظل يركض فى نفق الغفلة معتقداً بأن المسيح ابن لهما من زواج طبيعى جدا، وبذلك فقد أطلق الإنجيل الرصاص على هذه المعجزة الباهرة وألقاها جثة هامدة فى كفن التاريخ من خلال تلك الرواية.

● **كيف تتحقق المعجزة إذن؟**

لكى تتحقق المعجزة – معجزة أن امرأة عذراء تحبل وتلد ابنا دون ذكر فلابد من الشروط الآتية :–

١– لا يمكن للمرأة أن تدافع عن نفسها أمام الناس وتزعم أن هذا الطفل قد ولد بمعجزة؛ لأن أحدا لن يصدقها، باعتبار أن

هذا أمر غير معهود، كما أن أية امرأة مهما كانت صالحة لن تجرؤ على مواجهة الناس وتقول: إن هذا ولد مبارك، لأنهم ليسوا سذجا لكى يصدقوا امرأة تقف ضد كل القوانين في استهزاء تام بعقولهم، وتقول إنه ولد سماوي.

٢- ولن تقبل شهادة يوسف النجار كذلك؛ لأنه أول من توجه إليه أصابع الاتهام.

٣- لابد من مصدر آخر خارجى خارق للعادة، هذا هو الأمر المنطقي الوحيد الذي يجعلنا نتقبل هذا الحدث غير المنطقي، وغير المعهود، وهذا ما أشار إليه القرآن، بأن الطفل كان لا بد أن يتكلم دفاعاً عن أمه؛ لأنه هو الوحيد الذي يمكن أن تقبل شهادته؛ لأن الرضع لا يتكلمون، وإن تكلموا فبمعجزة من عند الله. إذن فرواية القرآن للمعجزة هي الوحيدة التي أثبتت المعجزة، أما رواية الإنجيل فقد انطلقت كقطار بلا سائق يدهس كل من يحاول إثبات المعجزة.

في أثناء نقاشي مع أحدهم حول هذه القضية، قال لي فلنأخذ برواية القرآن في هذه القضية فقط، ثم نحتكم بعد ذلك إلى الإنجيل فقلت له: إذا ثبت وجود فجوات أو حلقات مفقودة في موضع واحد، فلابد أن يرفض في كل المواضع الأخرى؛ لأنه أثبت من داخله أنه ليس وحياً، وبالتالي لا يمكن أن يعول عليه تعويلاً مطلقاً؛ ويلزم الجميع اتخاذ القرآن مرجعا وحيدا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقلت له أيضا: لقد هربت الحقيقة ليلاً، واختبأت فى عباءة المجهول، وإذا انشق الجسر فى أى موضع، فهل تستطيع الوصول إلى الشاطىء الآخر؟